تفسيرُ القرآنِ وتأويلُه في أحاديثِ الإمامِ عليّ عليه السلام ومروياته

دراسةٌ في مجمع البحرين لفخرِ الدّين الطّريحي (ت١٠٨٥هـ)

أ.د. عبد القادر ميلود سلاّمي

كلية الآداب واللغات / جامعة تلمسان - الجزائر

مريم مصطفى منصوري

المركز الجامعي بمغنية / الجزائر

Interpretation of the Qur'an and its interpretation in the hadiths of Imam Ali - peace be upon him - and his narrations A study in the Bahrain Council of Fakhr al-Din al-Tarihi (d. 1085 AH)

Prof.Dr. Abdelkader melod Salami

Faculty of Arts and Languages / University of Tlemcen - Algeria

Maryam Mustafa Mansouri

University Center in Maghnia / Algeria

Email: mansourimeryem461@gmail.com

ملخص البحث

يُعدُّ العالم الجليل «فخر الدّين الطّريحي» من أبرزِ العلماء تصنيفًا في مجالات متعدّدة ، وكانت إحدى ثمارها اليانعة كتابه «مجمع البحرين ومطلع النيرين»؛ وممّا زاد من عذوبة ما تناولته مداخله المعجمية شواهد من القرآن الكريم، معتمدًا شروحًا للإمام عليّ عليه السلام بين يديّ التفسير والتّأويل ، وهو ما سعينا إلى تفصيل القول فيه تبويبًا ومنهجًا وخصائص عرض.

الكلمات المفتاحية : التفسير ، التفسير ، التأويل ، الامام علي ، الطريحي .

Abstract:

The venerable scholar "Fakhr al-Din al-Toreyhi" is considered one of the most prominent scholars classified in various fields, as one of its ripe fruits was his book "The Bahrain Complex and the Beginning of the Lights". What increased the sweetness of its lexical entries was evidence from the Holy Qur'an, relying on the explanations of Imam Ali - peace be upon him - in the hands of interpretation and interpretation.

Keywords: interpretation, interpretation, interpretation, Imam Ali, Al-Tarihi.

أولًا: التّعريف بصاحب الكتاب «فخر الدّين الطّريحي»

١-حياته:

الشّيخ فخر الدّين بن محمّد علي بن أحمد بن علي بن أحمد بن طريح النّجفي الرّماحي، فاضل، وزاهد، وورع، وعابد، وفقيه، وشاعر، جليل القدر[١]، ولد في النجف سنة ٩٧٩هـ[٢].

وقد تتلمذ على ثلّة من الأساتذة والمشايخ، من بينهم: والده الشّيخ محمد علي، وعمه الشّيخ محمد حسين، ويروي عن الشّيخ محمد بن جابر النجفي، وعن الأمير شرف الدّين الشّولستاني، وعن الشّيخ محمود بن حسام الدّين بن درويش علي الحلي النجفي[٣].

وكان -رضي الله عنه- أعبد أهل زمانه وأورعهم، ومِن تقواه أنّه ما كان يلبس الثّياب الّتي قد خيطت بالإبرسيم، وكان يخيط ثيابه بالقطن، وكان هو وولده الشّيخ صفي الدّين وأولاد أخيه وأقربائه كلّهم علماء فضلاء صلحاء أتقياء[٤].

ويروي عنه جماعة، منهم: السّيّد هاشم بن سليمان بن إسماعيل الكتكاني البحراني (ت١١٠٧هـ)، والمحدث الأكبر محمد باقر بن محمد تقي المجلسي (ت١١١هـ)، وولده الشّيخ صفي الدّين (ت بعد ١١٠٠هـ)، وابن أخيه الشّيخ حسام الدّين بن جمال الدّين

(١)ينظر: الكنى والألقاب، عباس القمي، مكتبة الصدد، طهران، ط٥، ١٣٥٩هـ، ٢/ ٤٤٨، وينظر: معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرّواة، أبو القاسم الموسوي الخوئي، مكتبة الإمام الخوئي، النجف، دط، دت، ١٤/ ٢٧١.

(٢)مجمع البحرين، فخر الدّين الطّريحي، تحقيق: أحمد الحسيني، مؤسسة التّاريخ العربي للطّباعة والنشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م، ١/ ٧، وينظر: مصفى المقال في مصنفي علم الرّجال، أغا برْزك الطّهراني، دار العلوم للتّحقيق والطّباعة والنّشر والعلوم، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص٣٥١.

(٣)ماضي النجفين وحاضرها، جعفر الشّيخ باقر آل محبوبة، دار الأضواء للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص٤٥٥، وينظر: مجمع البحرين، فخر الدّين الطّريحي، ١/ ٦.

(٤)رياض العلماء وحياض الفضلاء، محمود المرعشي، تحقيق: أحمد الحُسيني، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، إيران، دط، دت، ٤/ ٣٣٢.

(ت١٠٩٥هـ)، وغيرهم[١].

٢-آثاره:

للطّريحي مؤلفات معروفة في مجالات متنوعة، وإنْ دلّ ذلك على شيء فإنّما يدلّ على غزارة علمه وسعته، ونذكر من بين آثاره ما يلي[٢]:

* الاحتجاج في مسائل الاحتياج
* جامع المقال في تمييز المشتركات من الرّجال.
* شرح الرّسالة الاثني عشرية في الصّلاة للشّيخ حسن بن الشّهيد الثّاني.
* الضّياء اللامع في شرح المختصر النافع.
* غريب القرآن.
* غريب الحديث.
* الفخرية الكبرى في الفقه.
* المنتخب في جمع المراثي والخطب.
* مجمع البحرين ومطلع النيرين.
* اللّمع في شرح الجمل.

٣-وفاته:

اختلف العلماء في تأريخ وفاة «فخر الدّين الطّريحي»، فهناك من يقول وافته المنية سنة ١٠٨٥هـ، وهناك من يذهب إلى أنّ سنة وفاته كانت في ١٠٨٧هـ[٣].

(١) مجمع البحرين، فخر الدّين الطّريحي، ١/ ٧.

(٢) ينظر: ماضي النجف وحاضرها، جعفر الشّيخ باقر آل محبوبة، ٢/ ٤٥٥- ٤٥٧، وينظر: رياض العلماء وحياض الفضلاء، محمود المرعشي، ٤/ ٣٣٣- ٣٣٥، وينظر: مجمع البحرين، فخر الدّين الطّريحي، ١/ ٨، ٩، وينظر: روضات الجنات في أحوال العلماء والسّادات، الميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري الأصبهاني، تحقيق: أسد الله إسماعيليان، طهران، دط، دت، ٥/ ٣٤٩، ٣٥٠.

(٣) ينظر: رياض العلماء وحياض الفضلاء، محمود المرعشي، ٤/ ٣٣٢، وينظر: مجمع البحرين، فخر الدّين الطّريحي، ١/ ٧.

ثانيًا: التّعريف بكتاب «مجمع البحرين ومطلع النيرين»

١-الهدف من تأليفه:

وضّح «الطّريحي» غرضه من تأليف كتاب «مجمع البحرين» في مقدّمته قائلًا: «ولما صنّف في إيضاح غير الأحاديث المنسوبة إلى الآل كتب متعدّدة ودفاتر متبددة، ولم يكن لأحد من الأصحاب ولا لغيرهم من أولي الألباب مصنّف مستقل موضح لأخبارنا مبين لآثارنا... حداني ذلك على الشّروع في تأليف كتاب كافٍ شافٍ يرفع عن غريب أحاديثنا أستارها، ويدفع عن غير الجلي منها غبارها»[١]؛ بمعنى أنّ الطّريحي ألّف كتابه لشرح غريب الأحاديث المروية عن طريق الإمامية، مُشيرًا إلى أنّه لم يسبقه إلى ذلك أحد، وأنّه كتاب شافٍ كافٍ للطّالب يجمع بين غريب القرآن وغريب الحديث، وهو ما جاء على لسان محقق كتابه بأنّه: «كتاب جيّد يُغني عن الصّحاح والقاموس فيما يتعلّق بلغات الكتاب والسّنة»[٢]. وهو ما أشاد به السّيّد «محمود المرعشي» بقوله: «إنّ كتاب مجمع البحرين من أحسن الكتب، ولقد أبدع في ذلك حيثُ جمع فيه بين تفسير لغات غريب القُرآن ولغات غريب حديث الخاصّة، كما أنّ العامة قد ألّفوا كثيرًا في لغة حديثهم، ولم يسبقه إلى تأليفه أحد من الإمامية»[٣].

وعليه، فكتاب «مجمع البحرين» جديد الطّرح في مضمونه حيث جمع فيه صاحبه بين تفسير غريب القرآن وغريب حديث الخاصّة، دون أنْ يُهمل الألفاظ اللُّغويّة الأخرى، وهي خاصيّة ينتبه إليها كلّ متتبع لصفحات الكتاب.

٢-وصف المقدّمة:

مقدّمة كتاب «مجمع البحرين» قصيرة مختصرة في حدود صفحة ونصف، أشار فيها «فخر الدّين الطّريحي» إلى أهم المصادر الّتي اعتمدها، وهدفه من تأليف كتابه، والمنهج الّذي سار عليه في عرض مادّته وتبويبها ، فقد وضّح مقومات صناعة معجمه في مقدّمته باختصارٍ شديدٍ سواءً بما يتعلّق بالجمع أو بالوضع؛ ففي قضيّة الجمع ذكر أهم المصادر الّتي

(١) مجمع البحرين، فخر الدّين الطّريحي، ١/ ١٣. (المقدّمة).
(٢) مجمع البحرين ، ١/ ١٠.
(٣) رياض العلماء وحياض الفضلاء، محمود المرعشي، ٤/ ٣٣٣.

اعتمدها دون أنْ يُشير إلى المستويات اللُّغويّة أو إلى طريقة عرضها، أمّا قضيّة الوضع فقد وضّح المنهج الّذي سار عليه مُستعينًا بمنهج الصّحاح مع إضافات منهجيّة، وهو ما نتناوله في العنصر الموالي.

٣-منهج الكتاب:

أشار «فخر الدّين الطّريحي» في مقدّمة كتابه إلى المنهج المتبع في تأليفه بكلّ اختصار، ونستشف ذلك من قوله : «اخترت لترتيبه من الكتب الملاح ما أعجبني ترتيبه من كتاب الصّحاح، غير أنّي جعلت بابي الهمزة والألف بابًا واحدًا ليكون التّناول أسهل والانتشار أقل»[١]؛ بمعنى أنّه سار على منوال تأليف الجوهريّ (ت ٣٩٨هـ) للصّحاح ، مع بعض التّغيير المتمثل في دمبابي (الهمزة والألف) في باب واحد بعكس الجوهريّ الّذي فرقهما عن بعضهما، وكلّ ذلك سعيًا منه إلى التّسهيل والتّيسير على الباحث.

ويقول في موضع آخر: «وحين تمّ التّأليف صَبَبْتُه في قالب التّرصيف، معلّمًا لكلّ حرفٍ من حروف الهجاء كتابًا، ولكلّ كتاب أبوابًا»[٢]؛ بمعنى أنّه جعل الحرف الأخير من الوحدة المعجميّة كتابًا، والحرف الأوّل منها بابًا، على خلاف الجوهريّ الّذي جعل الحرف الأخير من المادّة المعجمية بابًا، والحرف الأوّل منها فصلًا، وهو جانب شكليّ في التّسميات فقط ، والمنهج واحد.

وانطلاقًا ممّا سبق، فإنّ البحث في معجم مجمع البحرين يعتمد أولًا على (أصل الكلمات)؛ إمّا بتجريد الكلمة من زوائدها، أو بإرجاعها إلى أصولها، وبعدها النّظر إلى حرفها الأخير (نظام القافية) لتحديد الكتاب، ثُمّ النّظر إلى الحرف الأوّل لتحديد الباب، وهكذا يصل الباحث إلى مراده بأيسر وأسرع الطرق، هذا فيما يخصّ طريقة البحث في المعجم.

(١) مجمع البحرين، فخر الدّين الطّريحي، ١/ ١٤. (المقدّمة).
(٢) م ، ن ، ١/ ١٤. (المقدّمة).

أمّا عن أهم خصائصه ومميزاته في عرض مادّته نذكر ما يلي:

* ضبط اللّفظ صوتيًا بأشكال مختلفة، مع الإشارة إلى المعلومات الصّرفية والنحوية للمداخل المعجمية.

* يُشير إلى معلومات استعمال الوحدات المعجمية ؛ بذكر تعدد لغات بعض مداخلها، وأيضًا ينبه إلى الألفاظ غير العربية في محطات عدّة مثلًا سريانية أو يونانيّة.

* يشرح دلالات الألفاظ بما أُتيح له من وسائل لُغوية ممكنة؛ كتتبُّع السّياقات اللُّغوية المختلفة، ويُدلل على ذلك، سواء من القُرآن أو الحديث، أو النثر، أو الشّعر العربي، أو ذكر ما كتبه اللّغويون في المعاجم وكتب الغريب[1] ، وهذا يدلّ على غزارة مادّته العلمية وتنوعها.

* اعتماده على الشّواهد من القُرآن الكريم والحديث النبوي الشّريف، والشّعر والنثر أيضًا.

ثالثًا: بين يدي التّفسير (الشّرح) والتّأويل:

ارتبط معنى التفسير بمعانٍ مشتركة هي الشَّرْح والتأويل. والحقّ أنّ أغلب هذه المعاني معانٍ مشتركة، وإنْ كانت في الوقت نفسه تتفرَّدُ بدلالات خاصة تميزها عن المعاني الأخرى، إلّا أنّ الشّرح ارتبط كثيرا بالتفسير، ولعل هذه المفردة هي التي تؤدي المعنى على أحسن وجه، فالمعاني الأخرى تحوي معنى الشرح ولكنها لا تشمله ، فالشرحُ، وإنْ ارتبط بمعاني الكشف والتوضيح والبيان، والفتح والتفسير والحفظ[2]، فإنّه يجمع بين بيان وضع اللفظ ، وبين تفسير باطن اللّفظ، أي «التفسير» و«التأويل»؛ وأصل الشّرح: البَسْطُ، يقالُ: شَرَحْتُ اللَّحْم وشرَّحْتُه: أي بَسَطْتُهُ، ومنه: شَرْحُ الصّدْر، أي بَسَطْتُه بنور من الله وسكينة من جهة

(١) ينظر: العلاّمة الطّريحي وجهوده اللُّغوية في (مجمع البحرين ومطلع النيرين) دراسة معجميّة تحليليّة، عبد الله بن الشّيخ محمّد جعفر آل سعيد البحراني، الخزانة، العدد ٥-٦، السّنة الثّالثة،صفر ١٤٤١هـ/ تشرين الأول ٢٠١٩م، العراق، ص٩٩.

(٢) ينظر: لسان العرب، جمال الدين بن منظور، دار صادر، بيروت ، ٢/ ٤٩٧-٤٩٨. مادة (شرح).

الله ورَوْحٍ منه[١]، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾[٢]، وشرح المشكِل من الكلام: بَسْطُهُ وإظهار ما يخفى من معانيه[٣].

أمّا «التفسير» فكشْفُ المُراد عن اللّفظ المُشكل[٤]، وبيان وضع اللّفظ إمّا حقيقة أو مجازاً[٥]، والفَسْرُ: إظهارُ المعنى المعقولِ، ومنه قيل: ما ينبئ عنه القَوْلُ: تَفْسِرَةٌ، وسُمّي بها قارورة الماءِ، والتّفسير في المبالغة، كالفَسْر، والتفسيرُ قدْ يُقالُ فيما يختصُّ بمفرداتِ الألفاظ وغريبها، وفيما يختصُّ بالتّأويلِ، ولهذا يُقالُ: تفسيرُ الرُّؤْيا وتأويلُها[٦]، قال عزّ وجلّ: ﴿وأَحْسَنُ تَفْسِيراً﴾[٧].

أمّا «التأويل» فمن الأَوْل، أي الرّجوع إلى الأصل، «وأوَّل الكلام وتأوَّله: دبَّره وقدَّره وأوَّله: فسَّره»[٨]، ويكون ذلك بردّ أحد المحتمَلَيْنْ إلى ما يطابق الظاهر[٩]، ومنه المَوئِلُ للموضع الذي يُرجَعُ إليه ، وذلك هو ردُّ الشيء إلى الغاية المُرادة منه علمًا كانَ أو فِعْلًا، ففي العلم، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[١٠]، وفي الفعل نحو قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾[١١]؛ أي: بيانه الذي هو غايته المقصودة منه. وقوله تعالى: ﴿ذلكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[١٢]، قيل: أحسُنُ معنًى وترجمةً،

(١) مفردات ألفاظ القرآن الكريم سميح عاطف الزّين تفسير، - مجمع البيان الحديث- دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص٤٦١.
(٢) سورة طه ، الآية : ٢٥.
(٣) تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم، سميح عاطف الزّين، ص٤٦١.
(٤) ينظر: لسان العرب، جمال الدّين بن منظور، ٥/ ٥٥، مادّة (فسر).
(٥) ينظر: ملاحظات أوليّة حول الشرّوح الأدبيّة، وناس بن مصباح، مجلة الحياة الثّقافيّة، العدد ٤١، ١٩٨٦م، ص٣٦.
(٦) تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم، سميح عاطف الزّين، ص٤٦٢.
(٧) سورة الفرقان، الآية : ٣٣.
(٨) ينظر: لسان العرب ، ابن منظور، ١١/ ٣٣. مادة (أول).
(٩) ينظر: ملاحظات أولية حول الشروح الأدبية، وناس بن مصباح، ص٣٦.
(١٠) سورة آل عمران ، الآية : ٧.
(١١) سورة الأعراف ، الآية : ٥٣.
(١٢) سورة النساء ، الآية : ٥٩.

وقيل: أحسَنُ ثوابًا في الآخرة[1].

وبذلك خرجت دلالات الشرح، والتفسير، والتأويل من معنى المشترك حين دخلت مجال الدراسة العلمية، فاختص التأويل والتفسير بالدراسة القرآنية[2] والمعجمية، والشرّح بالشعر، إلّا فيما ندر، وأصبح لكلّ منه مصطلح خاص به ؛ فالشرح هو التعليق على مصنف درس من وجهة علوم مختلفة ، وقد كتبت الشروح على معظم الرسائل المشهورة ، أو الأشعار العربية نحو شرح مقامات الحريري (ت٥١٦هـ)[3] ، وشرح مُشكل شعر المتنبي لابن سيده (ت ٤٥٨هـ) ، وعلى هذا فالشّرح أيضًا: توضيح المعنى البعيد بمعان قريبة معروفة ومن هنا اكتسب الشرح معناه الخاص، وأمّا التفسير، فهو شرح، لكنّه من نوع آخر، فهو: «شرح لغوي أو مذهبي لنص من النُّصوص». ومن هنا نجد أنّ هذا الاختصاص لم يأت اعتباطا، فلكل مصطلح مجاله الذي يتقاطع فيه مع المجال الثاني، لكنّه لا يتّحد معه على الرغم من اتحادهما في الأصل اللّغوي.

رابعًا: أحاديث الإمام علي ﷺ في مجمع البحرين

نورد في هذا العنصر أحاديث الإمام علي ﷺ، والّتي تتضمن تفسيرًا وتأويلًا لآيات من القُرآن الكريم، ونعرضها فيما يلي حسب ورودها في أجزاء المعجم بالتّرتيب:

١ – يقول «علي» ﷺ: «إِنَّهُ قال: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ آية من فاتحة الكتاب، وهي سبعُ آيات تمامها ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: إنّ الله عزّوجل قال لي: يا محمد ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾[4] وإنَّ فاتحة الكتاب أشرف ما في كنوز العرش، وإنّ اللهَّ عزَّوجل خصّ محمدًا وشرّفه بها، ولم يُشْرِكْ معه فيها أحدًا من أنبيائه، خلا سُليمان بن داود فإنّه أعطاه منها: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، ألَا فمن

(١) تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم، سميح عاطف الزّين، ص٩.

(٢) ينظر: التفسير، معالم حياته، منهجه اليوم، أمين الخولي، أخرجه في كتاب مستقل جماعة الكتاب، ١٩٤٤م، ص٦٨.

(٣) ينظر: دائرة المعارف الإسلاميّة، ترجمة إبراهيم خورشيد وآخرين، مطبعة الشعب، القاهرة، ١٣/ ١٨٨.

(٤) سورة الحِجْر ، الآية : ٨٧.

قرأها معتقدًا لموالاة محمدٍ وآلِهِ الطّاهرين، منقادًا لأمرها، مؤمنًا بظاهرها وباطنها، أعطاه الله عزّوجل بكلّ حرف منها حسنة، كلّ واحدة منها أفضل له من الدّنيا بما فيها من أصناف أموالها وخيراتها، ومن استمع إلى قارئ يقرأها كان له ما للقارئ، فيستكثر أحدكم من هذا الخير المعرّض لكم، فإنّه غنيمة لا يذهبنّ أوانه فيبقى في قلوبكم حسرة»[1].

٢- قال اللهّ تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾[2]، أي أهل سقاية الحاوعمارة المسجد الحرام كمن آمن ، وفي الحديث نزلت حين افتخروا بالسّقاية يعني زمزم والحجابة ، رُوي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «نزلت في علي عليه السلام والعباس وشيبة، قال العباس: أنا أفضل لأنّ سقاية الحابيدي، وقال شيبة: أنا أفضل لأنّ حجابة البيت بيدي، وقال علي عليه السلام أنا أفضل فإني آمنتُ قبلكما ثُمّ هاجرت وجاهدت، فرضوا برسول الله -صلى الله عليه وسلم- فنزلت الآية»[3].

٣- يقول «علي» عليه السلام: «﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾[4]، أي أخذ في خلقها وإتقانها ﴿فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[5]»[6].

٤- قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾[7]، رُوِي عن علي عليه السلام أنّه قال: «إنّ المسلمين قالوا لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-: لو أكرهت يا رسول الله من قدرت عليه من الناس كثر عددنا وقوينا على عدونا! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما كُنتُ لألقى الله ببدعة لم يحدث لي فيها شيئًا وما أنا من المتكلفين» فأنزل الله تبارك وتعالى عليه: يا محمد ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ على سبيل الإلجاء والاضطرار في الدّنيا كما يُؤمنون عند المعاينة ورؤية البأس

(١) مجمع البحرين، فخر الدّين الطّريحي، ١/ ٥٣. مادّة (ثنا).
(٢) سورة التّوبة، الآية :١٩.
(٣) مجمع البحرين، فخر الدّين الطّريحي، ١/ ١٣٨. مادّة (سقا).
(٤) سورة البقرة ، الآية : ٢٩.
(٥) سورة البقرة ، الآية : ٢٩.
(٦) نفسه، ١/ ١٤٦. مادّة (سوا).
(٧) سورة يونس ، الآية : ٩٩.

في الآخرة، ولو فعلت ذلك لم يستحقوا مني توابًا ولا مدحًا، لكني أريد منهم أنْ يُؤمنوا مختارين غير مضطرين ؛ ليستحقوا مني الزلفى والكرامة ودوام الخلود في جنّة الخلد»[١].

٥- قال تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾[٢] قيل: يُريد الخيل، والضبح صوتُ أنفاس الخيل، ألم تر إلى الفرس إذا عدا يقول: أح أح. قيل: إنّها سرية كانت لرسول الله ﷺ إلى بني كنانة فأبطأ عليه خيرها فنزل عليه الوحي بخبرها في والعاديات ، وذكر أنّ عليًا ﷺ كان يقول: «العَادِيَات هي الإبل تذهب إلى وقعة بدر»[٣].

٦- يقول «علي» ﷺ لمعاوية: «فعدوت على طلب الدّنيا بتأويل القُرآن» يحتمل أنْ يكون من العدو وهو الجري ومن العدوان وتأويل القُرآن كقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي القَتْلَى﴾[٤]، وتأويله لذلك بإدخال نفسه فيه وطلب القصاص لعثمان، وإنّما دخل بالتّأويل ؛ لأنّ الخطاب خاص بمن قَتَل وقُتِل، ومعاوية بمعزل عن ذلك إذ لم يكن ولي دم فتأول الآية بالعموم ليدخل فيها[٥].

٧- قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزّادِ التَّقْوَى﴾[٦]، هي طاعة الله تعالى وعبادته وخشية الله وهيبته ، وفي حديث «علي» ﷺ: «يا حسن أحسن ما بحضرتكم من الزّاد التّقوى والعمل الصّالح»[٧].

٨- قال تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾[٨]، أي: مرجعي ومرجعكم. «التّوب والتّوبة» الرّجوع من الذُّنوب، وفي اصطلاح أهل العلم: الندم على الذنب لكونه ذنبًا. وفي الحديث: «النّدم توبة». وفيه عن «علي» ﷺ: «التّوبة يجمعها ستة أشياء: على الماضي من الذّنوب الندامة

(١) مجمع البحرين ، ١/ ١٥٨. مادّة (شيا).
(٢) سورة العاديات ، الآية : ١.
(٣) مجمع البحرين، فخر الدّين الطّريحي، ١/ ١٧٥. مادّة (عدا).
(٤) سورة البقرة ، الآية : ١٧٨.
(٥) مجمع البحرين، ١/ ١٧٧. مادّة (عدا).
(٦) سورة البقرة ، الآية : ١٩٧.
(٧) مجمع البحرين، ١/ ٢٧٥. مادّة (وقا).
(٨) سورة الرّعد ، الآية : ٣٠.

وللفرائض الإعادة، ورد المظالم، واستحلال الخصوم، وأنْ تعزم ألّا تعود، وأنْ تربي نفسك في طاعة الله كما ربيتها في معصية الله، وأنْ تذيقها مرارات الطّاعة كما أذقتها حلاوة المعصية»[1].

٩- قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[2]، قيل: نزلت في أهل البصرة، نقل ذلك عن الصّادق عليه السلام. وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال يوم الجمل: «والله ما قوتل أهل هذه الآية حتى اليوم» وتلا هذه الآية. وقيل: هي أعم من ذلك، وإنّما هي خطاب لكافة المؤمنين، وقول «علي» عليه السلام «ما قوتل أهل هذه الآية حتى اليوم» حق، فإنّ منكري إمامته من المتقدمين لم يقع بينه وبينهم قتال، بل أوّل قتال وقع له بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله هو حرب الجمل، فلذلك قال ما قال[3].

١٠- قال تعالى: ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾[4]. وفي حديث «علي» عليه السلام في أمر الخلافة: «لو كان لي نحوًا من ثلاثين رجلًا لأزلت ابن آكلة الذّباب» يعني به الأوّل[5].

١١- قال الله تعالى: ﴿وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾[6] بالفتح جمع الدّبر، وقال عزّ وجلّ أيضًا: ﴿وإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾[7] بالكسر مصدر، ويقول «علي» عليه السلام: «أدبار السّجود: الرّكعتان بعد المغرب، وإدبار النجوم: الرّكعتان قبل الفجر»[8].

١٢- يقول «علي» عليه السلام لعمر: «ألا أخبرك يا أبا حفص ما نزل في بني أميّة: قوله: ﴿والشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾[9]، فقال عمر: كذبت يا علي بني أميّة خيرٌ منك وأوصل

(١) مجمع البحرين، ١/ ٣٠٤. مادّة (توب).
(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٤.
(٣) مجمع البحرين، فخر الدّين الطّريحي، ١/ ٣١٣. مادّة (حبب).
(٤) سورة الحج، الآية: ٧٣.
(٥) مجمع البحرين، ١/ ٣٣١. مادّة (ذبب).
(٦) سورة ق، الآية: ٤٠.
(٧) سورة الطّور، الآية: ٤٩.
(٨) مجمع البحرين، فخر الدّين الطّريحي، ٢/ ١٨٦. مادّة (دبر).
(٩) سورة الإسراء، الآية: ٦٠.

للرّحم»[١].

١٣- قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾[٢]، أي جعلتموه وراءَكم كالمنسي المنبوذ وراء الظّهر. ومنه حديث «علي» عليه السلام: «اتّخذتموه وراءكم ظهريًا حتى شنت عليكم الغارات» أي جعلتموه وراء ظهوركم وهو منسوب إلى الظّهر[٣].

١٤- قال الله تعالى: ﴿وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتَهُمْ﴾[٤]، قال المفسر: يعني بالذّرية أولادهم الصّغار ؛ لأنّ الكبار يتبعون الآباء بإيمانهم، والصّغار يتبعون الآباء بإيمان من الآباء، فالولد يحكم له بالإسلام تبعًا لوالده. وروي عن «علي» عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ المؤمنين وأولادهم في الجنّة» وقرأ هذه الآية[٥].

١٥- قال اللهّ تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾[٦]، يعني بالنّازعات الملائكة الذين ينزعون أرواح الكفار عن أبدانهم بالشّدّة كما يفرق في القوس فيبلغ به غاية المد - روي ذلك عن علي عليه السلام، وفي حديث «علي» عليه السلام: «لقد أغرق في النزع» أي بالغ في الأمر وانتهى فيه، وأصله من نزع القوس ومدها، واستعير لمن بالغ في كلّ شيء[٧].

١٦- قال اللهّ تعالى: ﴿خَتَمَ اللهُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾[٨]، أي طبع الله على قلوبهم ومثله: ﴿يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾[٩]، من الختم وهو الشّد والطّبع حتى لا يوصل إلى الشيّء المختوم عليه ، وعن «علي» عليه السلام: «سبق في علمه أنّهم لا يُؤمنون فختم على قلوبهم وسمعهم، ليوافق قضاؤه

(١) مجمع البحرين، ٢/ ٢١٤. مادّة (شجر).
(٢) سورة هود ، الآية : ٩٢.
(٣) مجمع البحرين، فخر الدّين الطّريحي، ٢/ ٢٤٣. مادّة (ظهر).
(٤) سورة الطّور ، الآية : ٢١.
(٥) مجمع البحرين، ٢/ ٥٠٥. مادّة (تبع).
(٦) سورة النّازعات ، الآية : ١.
(٧) مجمع البحرين ، ٢/ ٥٦٢. مادّة (نزع).
(٨) سورة البقرة ، الآية : ٧.
(٩) سورة الشّورى، الآية : ٢٤.

عليهم علمه فيهم، ألَا تسمع إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾[1]»[2].

١٧- قال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾[3]، قال المفسر: المراد حين تقوم من مجلسك، فإنّه كان يقول: «سبحانك اللّهم وبحمدك لا إله إلّا أنت اغفر لي وتب عليّ»، وكذلك ورد مرفوعًا «إنّه كفارة المجلس»، وعن «علي» عليه السلام: «من أحبّ أنْ يكتال بالمكيال الأوفى فليقل في آخر كلامه في مجلسه: سبحان ربك»[4].

١٨- قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾[5]، قيل المراد بالأمانة: الطّاعة، وقيل العبارة ، روي «أنّ عليًا عليه السلام كان إذا حضر وقت الصّلاة يتململ ويتزلزل فيقال له ما لك يا أمير المؤمنين فيقول: جاء وقت الصّلاة، وقت أمانة عرضها الله على السّماوات والأرض فأبين أنْ يحملنها وأشفقن منها» وعرضها على الجمادات وآباؤها وأشفاقها مجاز ، وأمّا حمل الأمانة فهو مثل قولك فلان حامل للأمانة ومحتمل لها يريد لا يؤديها إلى صاحبها حتى يخرج عن عهدتها؛ لأنّ الأمانة كأنّها راكبة للمؤتمن عليها فإذا أدّاها لم تبق راكبة له ولم يكن هو حاملًا لها، والمعنى فأبين أنْ لا يؤدينها، وأبى الإنسان إلّا أنْ يكون محتملًا لها فلا يؤديها[6].

١٩- قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾[7]. عن «علي» عليه السلام قال: «الحسنة حبنا أهل البيت، والسّيئة بغضنا»[8].

(١) سورة الانفال ، الآية : ٢٣.
(٢) مجمع البحرين، ٣/ ٣٥١. مادّة (ختم).
(٣) سورة الطّور ، الآية : ٤٨.
(٤) مجمع البحرين، فخر الدّين الطّريحي، ٣/ ٤٠٧. مادّة (قوم).
(٥) سورة الأحزاب ، الآية : ٧٢.
(٦) مجمع البحرين، فخر الدّين الطّريحي، ٣/ ٤٤٣. مادّة (أمن).
(٧) سورة النمل ، الآيتان : ٨٩، ٩٠.
(٨) مجمع البحرين ، ٣/ ٤٦٢. مادّة (حسن).

٢٠- قال تعالى: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾[١]، ذو القرنين لقب الإسكندر الرُّومي كان في الفترة بعد عيسى ﷺ ، واختلف في شأنه فقيل كان عبد أعطاه الله العلم والحكمة وملكه الأرض، وقيل كان نبيًا فتح الله على يديه الأرض، وقيل كانت أمه آدمية وكان أبوه من الملائكة. وفي حديث «علي» ﷺ وقد سئل عنه: «أنبي هو أم ملك؟ فقال: عبد صالح أحب الله فأحبه، ونصح لله فنصح له»[٢]

ممّا سبق نُلاحظ أنّ الطّريحي انتقى أحاديث الإمام «عليّ» ﷺ لتفي بالغرض الّذي سطّره منذ البداية لصناعة معجمه، وهو الجمع بين القرآن الكريم والحديث النبويّ الشّريف، إذ نجده في أحاديثه ﷺ فسّر الآيات القُرآنيّة وأوّلها تأويلًا دقيقًا؛ فبيَّن المقصود منها بدقّة محكمة وبأدلّة علميّة منطقيّة.

خاتمة:

انطلاقًا من معالجتنا لموضوعنا الموسوم بتفسير القرآن وتأويله في أحاديث عليّ ﷺ، بقراءةٍ متأنيّة في كتاب مجمع البحرين للطّريحي توصلّنا إلى جملة من النتائج نوجزها في النقاط التّاليّة:

* يعدّ مجمع البحرين معجم من المعاجم العربية ، جمع فيه الطّريحي بين تفسير غريب القرآن وغريب حديث الخاصّة، فكان بذلك عملًا مرموقًا له قيمته العلميّة في السّاحة العربيّة، وما يميّزه أنّه جديد الطّرح في مضمونه، مألوف في منهجه، واضح في عرضه لمادّته، ومع ذلك نلاحظ قلّة الدّراسات حوله.

* إنّ الحديث عن شرح آي الذّكر الحكيم للقُرآن الكريم، هو حديث عن التّفسير والتّأويل بدءًا بنبيّنا محمّد رسول الله ﷺ أوّل مفسّر للنّص الخالد ، والإمام علي بن أبي طالب ﷺ أجلّ آل بيته ، إذ فسّر وأوّل بعض آيات القُرآن الكريم مستعينًا بأحاديث رسول اللهّ ﷺ في أصل وضعها ، وما اعتراها من ظلال دلالية هامشية وفق سياقات ورودها

(١) سورة الكهف ، الآية : ٨٣.
(٢) مجمع البحرين، فخر الدّين الطّريحي، ٣/ ٥٠٢. مادّة (قرن).

في القرآن الكريم والحديث النّبوي الشريف، وذلك اعتقادا منه بأنّ المصطلح القرآني يعدّ من أهمّ الدلائل التي نتبيّن بها ما وصل إليه العلم من نضوتمكّن، إذ لا يتسنّى أنْ يتسنّم هذه الدّرجة من التجريد العقلي إلّا بعد عمل تمهيدي طويل، ومباشرة متواصلة لمادة ذلك العلم، فلا يتصوّر أنْ ينشأ عن طفرة وإلهام ، فالمصطلحات القرآنية مجموعة من الكلمات تجاوزت دلالتها اللّفظية والمعجمية إلى تأطير تصورات فكرية تقوى على التشخيص وضبط المفاهيم وإقامة الدليل.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. دائرة المعارف الإسلاميّة، ترجمة إبراهيم خورشيد وآخرين، مطبعة الشعب، القاهرة.

٣. روضات الجنات في أحوال العلماء والسّادات، الميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري الأصبهاني، تحقيق: أسد الله إسماعيليان، مكتبة إسماعيليان، طهران، دط، دت.

٤. رياض العلماء وحياض الفضلاء، محمود المرعشي، تحقيق: أحمد الحسيني، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، إيران، دط، دت.

٥. الكنى والألقاب، عباس القمى، مكتبة الصّدد، طهران، ط٥، ١٢٥٩هـ.

٦. لسان العرب، جمال الدين بن منظور، دار صادر، بيروت، دط، دت.

٧. ماضي النّجفيين وحاضرها ، جعفر الشّيخ باقر آل محبوبة، دار الأضواء للطّباعة والتّوزيع، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٨. مجمع البحرين، فخر الدّين الطّريحي، تحقيق: أحمد الحسيني، مؤسسة التّاريخ العربي للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م.

٩. مصفى المقال في مصنفي علم الرّجال، أغا برْزك الطّهراني، دارالعلوم للتّحقيق والطّباعة والنّشر والعلوم، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٨هـ/ ٩٨٨م .

١٠. معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرّواة ، أمين الخولي، التفسير، معالم حياته، منهجه اليوم، أخرجه في كتاب مستقل جماعة الكتاب، ١٩٤٤م.

١١. مفردات ألفاظ القرآن الكريم، سميح عاطف الزّين تفسير، - مجمع البيان الحديث- دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

١٢. مكتبة الإمام الخوئي، أبو القاسم الموسوي الخوئي، النجف، دط، دب.

المجلات:

١. العلاّمة الطّريحي وجهوده اللُّغوية في (مجمع البحرين ومطلع النيرين) دراسة معجميّة تحليليّة ، عبد الله بن الشّيخ محمّد جعفر آل سعيد البحراني،الخزانة، العدد ٥، ٦، السّنة الثّالثة، صفر ١٤٤١هـ/ تشرين الأول ٢٠١٩م، العراق.

٢. ملاحظات أولية حول الشروح الأدبية ، وناس بن مصباح، مجلة الحياة الثقافية، العدد ٤١، ١٩٨٦م.

اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ